المملكة العربية السعودية
الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن ببريدة
معهد الفتيات للقرآن الكريم
الدبلوم العالي



اللغة العربية بين غربة الفصحى وسطوة الأعجمية

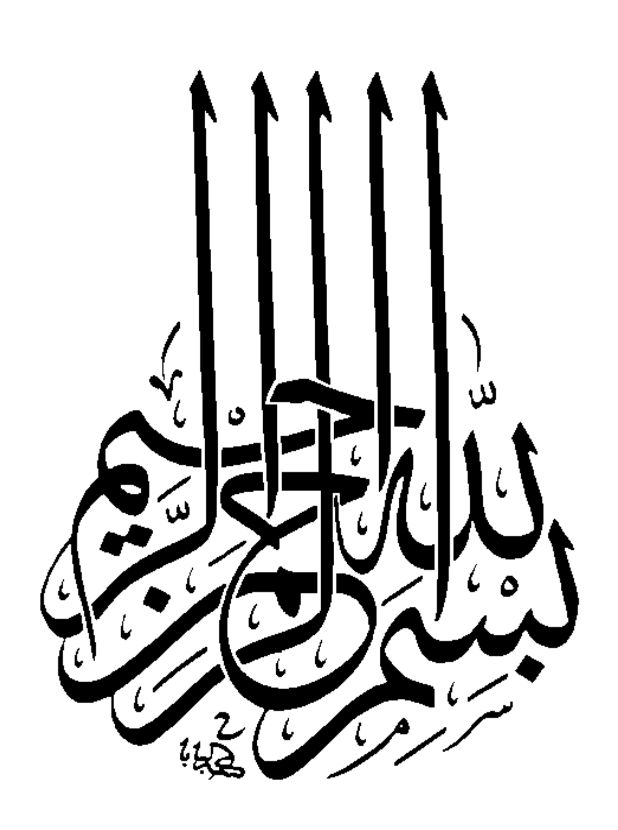
إعداد الدارسة:

أنفال بنت علي اللاحم

إشراف الأستاذة:

هناء صالحين

١٤٣٧ / ١٤٣٨ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الذين يناضلون ويناهضون لأجل العربية ،

لأجل أن تعود إلى ما كانت عليه من ازدهار ونهضة ..

الذين لا يزالون مستمسكين بها رغم كل الانتقاصات والشتائم ..

تقبلوا هذا البحث عرفانًا لثباتكم وإصراركم .

أنفال

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه بالحق ولم يجعل له عوجا، أنزله لسانًا عربيًا مبينا، وقال في محكم تنزيله: { قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ } [الزمر]، ثم الصلاة على المبعوث رحمةً للعالمين، محمدٍ الأمين صلوات ربي وسلامه عليه إلى يوم الدين، من أوتي جوامع الكلم، وبلغ من الفصاحة والبيان ما يعجز عن ذكره قلم.

وبعدُ: فإن اللغة العربية هي لغة الإسلام وهويته وشعاره، فهي اللغة التي اختارها الله عز وجل من بين كثير من اللغات لتكون لغة الوحي الذي أنزله على خير المرسلين صلوات ربي وسلامه عليه، فهي لسان الإسلام والمسلم، ولسان الحق في هذه الدنيا، فيكفيها شرفًا أنها حوت آي الكتاب بتمام إعجازه وكمال بلاغته وبيانه، فلا يمكن لأي لغة أخرى أن تبلغ منزلتها أو حتى تشابهها.

وإنه لَمِن الواضح لِمَن تعلّم لغةً غير العربية، تميّز العربية عن غيرها ببلاغتها ودقتها ووفرة مفرداتها. ولمّا وُصفت العربية في هذا العصر بالجمود والصعوبة والعجز، كان لزامًا على أبنائها أن يبينوا مكانتها وجمالها وما تميّزت به عن غيرها، وقد كان هذا سببًا في اختيار موضوع البحث.

وكما لا يخفى على أحدٍ أنه لابد من مواجهة صعوبات في أي عمل، فقد واجهتني بعض الصعوبات في كتابة هذا البحث، من ضيق الوقت، وكون الموضوع جديدًا على مثلي؛ فاحتجت إلى البحث المتواصل عن مؤلفات في هذا الشأن، أو البحث عن بعض جزئياته في بطون الكتب لكون بعضها قضايا معاصرة لم تفرد لها مؤلفات مسبقًا، وواجهت كذلك مشكلةَ محاولة الاختصار دون الإخلال بالمعنى، إذ لا يتسع المقام للإسهاب في بعض المواضيع.

وقد كانت خطة البحث كالتالي:

- المقدمة
- التمهيد
- المبحث الأول: مكانة اللغة العربية
- المبحث الثاني: عوامل اغتراب اللغة العربية
- المبحث الثالث: الآثار المترتبة على اغتراب اللغة العربية

- المبحث الرابع: سبل النهوض باللغة العربية
- المبحث الخامس: مسوّغات استعمال اللغة الأعجمية وتعلمها
- الخاتمة
- المصادر والمراجع

كما لا أنسى في هذا المقام أن أشكر كل من قدم لي يد المساعدة والعون، من أهلٍ وأستاذات وصديقات، فشكر المولى بذل الجميع وأجزل لهم المثوبة وجزاهم عني خيرًا.

واللهَ أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، مؤمّنًا من الكرة الخاسرة، وينفع به كاتبه والناظر فيه في الدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



التمهيد

مصطلحات البحث:

اللغة:

عرّف ابن جني اللغة بقوله: " أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم."[١]، وعرفها ابن خلدون في مقدمته، فقال: " اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده. و تلك العبارة فعل لساني ناشئةٌ عن القصد لإفادة الكلام"[٢].

الفصحى:

ورد أنها "من الفصاحة، والفصح في اللغة: رجلٌ فصيح وكلامٌ فصيح، أي بليغ. ولسانٌ فصيح، أي طلق. ويقال: كلُّ ناطقٍ فصيح، وما لا ينطِقُ فهو أعجم"[٣].

ولعلّ المقصود بالفصحى هنا: هي اللغة العربية المطابقة للقواعد، الخالصة السليمة من كل عيب ، التي لا يخالطها لفظ عاميّ أو أعجميّ ، بخلاف العاميّة.

الأعجمية:

"العَجَمُ: ضِدُّ العَرَب. ورجلٌ أعجميّ: ليس بعربيّ وقوم عجم وعرب. والأعجم: الذي لا يُفْصِحُ"[٤].

والمقصود بالأعجمية هنا: كل لغة غير اللغة العربية

١- الخصائص، ابن جني، ١ / ٣٤.
٢- مقدمة ابن خلدون، ٢/ ٣٦٧.
٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي ١/ ٣٩١.
٤- العين، الفراهيدي ١/ ٢٣٧.

المبحث الأول
مكانة اللغة العربية

لا شك أن للّغة العربية مكانة خاصة تُميزها عن باقي اللغات، فقد اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لغة الوحي والرسالة ولغة القرآن الكريم، فنالت بذلك الشرف العظيم. فلم ينزل الوحي الكريم من عند الله باللغة العربية إلا بعد أن بلغت اللغة نضجها واستقرّت بها قواعد الإسلام وآيات الكتاب المجيد وأحاديث الرسول ﷺ، فقد جاء القرآن الكريم ليُبين منزلة اللغة العربية في الإسلام، ويُبين كذلك أن اللغة العربية من خصائص منهاج الله وأنها منه[١]، فقال تعالى: { إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾ } [يوسف]، وقال أيضًا: { وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ } [الشعراء].

ولا ريب أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار وجود لغاتٍ عدةٍ وقت تنزيل القرآن الكريم بدا لنا فضل العربية وشرفها على سائر اللغات وتكريم الله لها باختيارها لغةً لكتابه الأخير[٢]: { إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾} [الزخرف].

فاللغة العربية محفوظة بحفظ الله عز وجل للقرآن الكريم، فهو السبب الرئيسي الذي جعلها باقية إلى هذا العصر. يقول فيليب دي طرزي: " لقد أصبح المسلمون بقوة القرآن أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها؛ فقد جمع شتات العرب، ومن المقرر أنه لولا القرآن لما أقبل الألوف من البشر على قراءة تلك اللغة وكتابتها ودرسها والتعامل بها، ولولا القرآن لظل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر. وقد حفظ القرآن التفاهم بالعربية بين الشعوب الإسلامية وبين العرب"[٣].

إن اللغة التي شَرُفت بحمل هذا الحق العظيم، والنور المبين، الذي تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بآية أو سورة أو عشر سور مثله، لهي لغةٌ متميزة عن سائر اللغات، وقد شهد لها بذلك كثيرٌ من علماء اللغة والباحثين، فتجد أنها تتميز عن غيرها في قواعدها ونحوها وصرفها وفي شعرها ونثرها كذلك. فهي لغة البيان

١- اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء، د. عدنان النحوي ص ٤٩- ٥٠ - بتصرف.

٢- الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص٣١ - بتصرف.

٣- نفس المرجع، ص٣٢.

والوضوح والدقة والجمال، الذي أبهر كل من درسها وعرفها، حيث تجد أن اللفظة الواحدة بجرسها وصوتها تعبّر عن معناها، فضلاً عما تحمله من معانٍ عدّة في ذاتها.

ويتبيّن جمالها ودقتها بشكل جليٍّ وواضح حين تُترجم نصوصها إلى لغاتِ الشعوب الأخرى، سواءً كانت نصوص الوحي من الكتاب والسنة، أو نصوصًا نثرية أو شعرية، فكم تفقد اللغة من بلاغتها وبيانها وإعجازها حين تُنقل إلى لغات أخرى، فقد تُترجم الكلمة الواحدة فقط إلى جملة، أو العبارة الواحدة إلى عدّة جملٍ.

فاللغة العربية أكمل لغات البشر وأجودها مخارج وأضبطها قواعد، ذات القياس المطّرد والأوزان المعروفة، والتي لم يعرفها التاريخ إلا كاملة النمو بالغة النضج، بل لقد أمدت أكثر لغات الأرض، ففي كل لغة منها أثر[١].

يقول الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين: " والمهم أن ندرك أن الله سبحانه لم يرد أن يكون لنبيّه الخاتم آيةً حسيةً مؤقتة، بل أرادها آيةً عقليةً دائمةً إلى أن يرثَ الله الأرض ومن عليها، آيةٌ تملك أن توقظ غفلات البشر على اختلاف أوطانهم ولغاتهم ومستوياتهم، فكان القرآن معجزة اللغة والفِكر معًا لكل اللغات وكل البشر"[٢].

ويكفينا عن كل ما ذُكر من بيان مكانتها وشرفها أنها لغة أعظم كتاب سماوي نزل إلى البشر، فهي محفوظةٌ بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ } [الحجر].



١- فصول في الثقافة والأدب، علي الطنطاوي، ص١٥٣ – بتصرف.

٢- عربية القرآن، عبد الصبور شاهين، ص٦٧.

المبحث الثاني
عوامل اغتراب اللغة العربية

أصبحت اللغة العربية اليوم غريبةً بين أبنائها، رغم كونها لغتهم الأمّ، بحيث أصبحنا لا نُفرّق بين لغة العربي والأعجمي في البلاد العربية.

ولا شك أن ذلك يعود لأسباب كثيرة وعوامل عدة، سواءٌ كانت دينية أو فكرية أو اجتماعية أو سياسية، ولا يمكننا حصر كامل هذه العوامل في هذا المقام؛ حيث يطول سردها، ولكن يجدر بنا أن نذكر أبرزها، وهي تتمثل في ثلاثة عوامل: أولًا: الاستعمار، ثانيًا: العولمة، ثالثًا: العاميّة.

أولًا: الاستعمار:

يأتي الاستعمار فى مقدمة أسباب السيطرة على البلاد الإسلامية وإخضاعها للفكر الغربى وقبوله فى صورة حضارة وتقدم، ويُمثل ذلك دورًا هامًا في طمس لغة البلد المستَعمَر واستبدالها بلغة المستَعمِر، فقد استطاع الاستعمار الغربي أن يشوّه صورة اللغة العربية ويجعلها قاصرة عن مواكبة العصر والعلوم الحديثة، وأنها سبب التخلف عن ركب المدنية، ولا سبيل إلى النهضة العلمية والتقنية إلا بتنحيتها واستبدالها بالأعجمية –انجليزية كانت أو غيرها–.

لقد كانت خطة النفوذ الأجنبي ترمي إلى تقديم اللغات الأجنبية في الأقطار الإسلامية على اللغة العربية، وتقديم اللهجات واللغات المحلية وتشجيعها كذلك، والأدهى من ذلك كله هو ابتعاث الطلاب إلى الغرب لدراسة لغاته، لإيمانهم بأن اللغة هي الوجه الثاني للفِكر، وأنّ من يجيد لغة أمَّة لا بد أن يُعجب بتاريخها وفكرها، ويكون لديه انتماء من نوع ما إلى هذه الأمة[١]. وقد كان لهم في ذلك مقالات وكتابات تخدم أهدافهم وتوضحها، يقول المبشّر تكلي: " يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني، لأن كثيرًا من المسلمين قد زعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية"[٢]. وفي هذا الشأن يقول الرافعي: "وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا

١– انظر: مقال: الاستعمار الغربي المباشر ومعاركه مع اللغة العربية، أ.د.عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، شبكة الألوكة.
http://www.alukah.net/literature_language/0/80229/

٢– قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، ص٥٣.

كان أمره في ذهاب وإدبار؛ ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمِر لغته فرضًا على الأمة المستعمَرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها؛ فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبدًا؛ وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا؛ وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع"[١].

رغم كل هذا المكر والكيد إلا أن اللغة أبت أن تندثر وتندرس بفضل الله عز وجل وحفظه لها المتمثل بحفظ كتابه العزيز، ثم بفضل أبنائها المتمسكين بها والمهتمين بها.

ثانيًا: العولمة:

تعددت تعريفات العولمة من شخص لآخر ومن مجال لآخر كذلك، "وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر من خلالها الباحثون، وبسبب تنوع إدراكهم لهذه الظاهرة وانطباعاتهم عنها"[٢]، والذي يُهمنا في هذا المقام هو العولمة اللغوية، وهي: "عملية جعل اللغة الإنجليزية لغة عالمية مهيمنة في مختلف نواحي الحياة في العالم وتضمّ في طيّاتها تهميش بقية لغات العالم والتأثير فيها، وطمس بعضها من الخريطة الحضارية والثقافية"[٣].

فالعولمة تخترق الهويات المختلفة، ليس عن طريق ليّ الذراع وإشعال الحروب، بل تعمد إلى المفاهيم العقدية والسياسية والثقافية فتهمشها، ثم تبذر محلها تلك المفاهيم التي تسعى إلى بثها في كل المجتمعات والبلدان، وقد بات من المؤكد أن معظم دول العالم الآن تشهد ضعفًا في مستوى اهتمامها بهويتها وموروثها الديني والتاريخي والثقافي، وقد أصاب المسلمين كذلك – مع الأسف – نوعٌ من الانكماش والانحسار جراء هذه الهجمة الشرسة للعولمة، حتى اللغة العربية التي سُوِّدت في بيان مآثرها آلاف الصفحات أضحت تضطرب كالذبيح بين فكي كماشة اللغة الإنجليزية، بوصفها لغة العلم والحضارة والعولمة[٤].

"وقد شهد العالم أنماطًا من العولمة والعالمية في حروب اليونان والرومان وفي الفتوحات الإسلامية، ولكن العولمة المعاصرة جاءت عن طريق الاقتصاد والثقافة لتبسط قوانينها الرأسمالية في العالم ولتمحو شخصية لشعوب ولاسيما الإسلامية والعربية ولتجعلها طيعة كالعجينة بين يديها، وهي تتخذ من الطعن باللغة

١- وحي القلم، الرافعي ٣/ ٢٧.

٢- العولمة، أ.د. عبد الكريم بكار، ص١١.

٣- ضوء تحديات العولمة وتلبية متطلباتها، أحمد بدماصي أوما أوني، ص١٣.

٤- انظر: أ.د. عبد الكريم بكار، مرجع سابق، ص٦٩.

الفصحى ونشر اللغة الإنجليزية وسيلة لتحقيق مآربها"[١].

فاللغة العربية اليوم تشهد جفاءً من أبنائها، فقد أصبح كثيرٌ من ألفاظ اللغة الإنجليزية دارجةً على ألسنتهم في محادثاتهم اليومية وتواصلهم في المكالمات الهاتفية وغيرها، بل حتى في الحفلات والمناسبات تجد أن العبارات الإنجليزية تُزين اللوحات والمنشورات، بحالٍ يندى له الجبين وتَقَضُّ لأجله المضاجع، وكأن اللغة العربية عاجزة كل العجز عن التعبير بالتهاني والتبريكات.

وكل ذلك بسبب عولمة اللغة الإنجليزية وجعلها مهيمنةً على جميع اللغات، بزعم أنها لغة الحضارة والتطور. وبئست الحضارة التي ينشدها من ينسلخ من لغته وهويته لأجل أن يتّبع الغالب ويقتفي أثره من غير مبرر ولا مسوّغ سوى التفاخر والتباهي.

ثالثًا: العاميّة:

العاميّة هي اللسان العربي الدارج في شؤون الحياة اليومية والذي لا يخضع لقواعد معينة، فهو اللهجة الذي يتخاطب به السواد الأعظم من الناس، وتتم بها جميع أمور الحياة غير الرسميّة، وتختلف هذه اللهجة باختلاف الأقطار العربية، فلكل بلد عربي معاصر عاميته الخاصة به الذي يتخاطب بها.

إن قضية الدعوة إلى إحلال العامية محلّ الفصحى قضية شائكة في مسيرة ضعف اللغة واغترابها، إذ إنها كانت تقوم على دعاوى تخفى على الكثيرين من عامة الناس تزعم أن اللغة الفصحى معقدة نحوًا وكتابة، وأنه لا يمكن أن يفهمها إلا طبقة معينة من المثقفين والمتعلمين، في حين أن " الذين يشكون من صعوبتها، أو يتشاكون، يتقنون ما هو أكثر منها تعقيدًا ولا يخطئون فيه، بل إن منهم من يتقن لغتين أو ثلاث لغات أجنبية معقّدة في بعض الأحيان، يقيمونها ويخجلون أن يخطئوا فيها، حين لا يقيمون لغتهم ولا يخجلون أن يخطئوا فيها، فهم تارة يدعون إلى العامية دعوة صريحة، وتارة أخرى يدعون إلى التوسط بين الفصحى والعامية "[٢] محاولين وضع قواعد ومعاجم لها.

لقد كانت هذه القضية أثرًا من آثار المستعمر في البلاد العربية، فلم يكتفِ المحتلّ بفرض لغته وجعلها اللغة الأولى في المدارس والمعاهد التعليمية، بل حارب اللغة العربية في عقر دارها وهدمها في معاقلها بدعوته إلى العامية وتشجيعها والاهتمام بها، فقد كانت بدايات هذه الدعوة حين " عُيّن المهندس البريطاني وليام ويلكوكس رئيسًا لتحرير مجلة الأزهر في عام ١٨٩٢م، فأعلن عن إفساحه المجال في مجلته للعلماء لكي

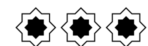
١- مقال: أثر العولمة على اللغة العربية، د. زينب بيره جكلي، رابطة أدباء الشام http://bb2.co/Spv6K

٢- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، ٢/ ٣٦٧ - ٣٦٩.

يكتبوا بحوثهم العلمية باللغة العامية"[١]، إلا أنه واجه موجةً من الاعتراض والردود من الذين عرفوا نيته الخبيثة التي يرمي إليها وهم جمهرة من العلماء المصريين في ذلك الوقت، فقد تحداه بعضهم بكتابة بحوثٍ علمية بالفصحى ليثبتوا له جدارتها وقدرتها على ذلك.

ولم يزل الصراع محتدمًا بين مناصري الفصحى ودعاة العامية، حتى إذا عجز الأجانب وبان فشلهم ظهر من أبناء العربية من يكمل مسيرتهم ويدعو للعامية بحجج واهية، إما دعوةً لإصلاح المجتمعات كما يزعمون، أو لتقريب العلم والثقافة بصورة ميسرة للعامة، "والعجيب الغريب أن أكثر دعاة العامية خاضوا معاركهم ضد الفصحى باللغة الفصحى، وكأني بالفصحى تهزأ بهم وتسخر من جهودهم التي ذهبت تذروها الرياح، وتمضي الفصحى مرفوعة الرأس شامخة الجبين تؤثر في اللهجات العامية ولا يؤثرن بها"[٢].

إن الحل لهذه القضية والمشكلة هي أن نعترف بأن الفصحى هي اللغة العليا التي يُكتب بها العلم والأدب والفِكر، وهي التي تُعبّر عن هويتنا كمسلمين وعرب، لكننا في الوقت ذاته لا ننفي أهمية اللغة العامية إذ إنه لا يمكن الاستغناء عنها أو القضاء عليها؛ فهي اللغة التي يتخاطب بها الناس في شؤون حياتهم اليومية في البيت والسوق وغيرهما، بل الجهد الذي ينبغي علينا فعله هو تهذيب الألفاظ العامية لتكون قريبة من الفصحى، بحيث تكون الفصحى العليا سهلة ميسرة على عامة الناس[٣].



١- في فقه اللغة وقضايا العربية، د. سميح أبو مغلي، ص١٥٨.

٢- نفس المرجع، ص١٦٠ - بتصرف.

٣- انظر: نفس المرجع، ص١٦٠.

المبحث الثالث
الآثار المترتبة على اغتراب اللغة العربية

لقد أدرك أعداء الإسلام أن المساس بالإسلام أو القرآن أو الرسول ﷺ بصورة مباشرة، إما بتحريف أو تشويه، لا يجدي نفعًا مع أبنائه بل يزيدهم ذلك تمسكًا وإصرارًا عليه، فاحتالوا ومكروا وأتوا بخدع خفية مبطّنة تَخفَى على العوام، ليصلوا بذلك إلى مبتغاهم ومرادهم.

يقول الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين: "فأما محاربة الإسلام تحت ستار المدنية أو التقدم أو التطور، فتلك كلها دعاوى تجوز على الكثيرين ممن يحرصون على تحقيق هذه الأهداف، فضلاً عمن يحاولون دائمًا التوفيق بين مبادئ الإسلام وقضايا العصر الحديث"[1].

ولأن اللغة العربية جزءٌ من كيان الإسلام، وروحه التي اختارها عز وجل لغةً لكتابه، سعى أعداؤها سعيًا حثيثًا لإقصائها وجعلها في مصاف اللغات المتخلفة غير المناسبة للعصر الحديث، ورموها بكل أنواع النقائص؛ ليصلوا لمبتغاهم وهدفهم الأول وهو إضعاف فهم المسلمين للقرآن الكريم وإبعادهم عنه، مما يؤدي إلى ضعف عقيدة المسلم وبعده عن الدين، فيسهل عليهم بعد ذلك التلبيس وإدخال الشبهات عليه.

"فإذا كان القرآن هو واهب الحياة لهذه اللغة، فإن من الطبيعي أن تموت إذا ما حيل بينها وبينه، كما يموت الزرع إذا ما حُرم من الماء، وكما يموت الكائن الحي إذا حُبسَ عنه الهواء!"[2]. فهذا الأثر هو أهم الآثار المترتبة على اغتراب اللغة وضعفها، فضعفها مؤثرٌ جدًا في فَهم نصوص الدين والعمل بها.

ولاشك أن هناك آثارًا أخرى تترتب على ضعف اللغة العربية واغترابها، فمن تلك الآثار: استبدال لغة النشء العربية إلى غيرها من اللغات الأعجمية، مما يؤدي إلى نشأة جيلٍ بعيدٍ تمام البعد عن لغته الأم، لا يفهم قواعدها ولا يتحدث بها، مما يؤدي إلى التفكك في التراكيب، وعدم الدقة في تنظيم الجمل، والركاكة في التعبير، والبعد الكبير عن الفصاحة وعن استخدام الأساليب البلاغية التي تتمتع بها هذه اللغة في الكتابة أو الخطابة أو المحادثة.

كذلك من الآثار: ضياع الهوية الإسلامية والعربية معًا، والشعور بالانهزامية والضعف حين التحدث بها،

١- عبد الصبور شاهين، مرجع سابق، ص١٤٩.

٢- نفس المرجع، ص١٤٨.

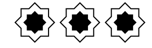
فنجد أن العربي لا يفتخر بلغته ولا يعتز بها، بل ويستبدلها بغيرها متبخترًا مفتخرا بذلك، يظن أنه بلغ أعلى درجات التقدم والحضارة، وهو في الحقيقة لا يفعل إلا الإساءة لدينه وتاريخه وثقافته.

ومن الآثار المهمة التي نلمسها لهذا الاغتراب: إقصاء اللغة العربية عن علوم العصر الحديثة، فإن أغلب العلوم إن لم تكن كلها تتم دراستها باللغات الأعجمية، فيؤدي ذلك إلى ضعف العلوم العربية، مما يَضطر أبناء المسلمين والعرب إلى الابتعاث لدول الغرب لدراسة هذه العلوم النظرية أو التطبيقية كالطب والهندسة والإدارة وغيرها، ولا يخفى على عاقلٍ الآثار السلبية المترتبة على الابتعاث من ضعف هوية المسلم وانطماسها في حضارة الغرب الزائفة، وفي الوقت ذاته فإننا لا ننكر آثارها الإيجابية، غير أن درء المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح.

ومن الآثار كذلك: ضعف الأدب العربي بشعر ونثره، ودخول العامية عليه؛ وإن ضعف أدب لغةٍ ما يعني اندثار تلك اللغة وضعف موروثها الحضاري والتاريخي، فالأدب هو مرآة الأمم، والوسيلة التي من خلالها يستطيع الأديب أن يُخلّد إرث أمته وأحداثها التاريخية لتبقى بعد ذلك تتناقلها الأجيال، وإن "مهمة الأديب المسلم اليوم: بعث الحياة في حياة الأموات، وحمل المشاعل لتنير الدروب المظلمة"[١].

وإن من أثر ضعف اللغة العربية كذلك: صعوبة التواصل بين أفراد الأقطار العربية المختلفة؛ لاختلاف لهجاتهم وإحلال العامية بدلًا عنها، بل واستبدالها بالأعجمية أحيانًا في بعض البلدان المستعمرة –كالفرنسية في دول المغرب العربي مثلًا– فليس هناك من وسيلة لفهم أبناء الدول العربية بعضهم البعض إلا التحدث باللغة العربية الفصحى.

هذا ما تيّسر إيراده من الآثار، ولا شك أن هناك آثارًا أخرى لا تقل أهمية عن هذه، إلا أن المقام لا يتسع لحصرها، إذ إن سردها يطول، ولعل ما اقتصرنا عليه فيه الكفاية والبيان.



١– خواطر في زمن المحنة، يمان السباعي، ص٩.

المبحث الرابع
سبل النهوض باللغة العربية

بعد ذكر مكانة اللغة العربية وبيان شرفها وأهميتها، يجب أن نُبيّن أهمية النهوض والارتقاء بها، فإن السعي للنهوض باللغة في الحقيقة هو سعيٌ للنهوض بالدين والاعتزاز به، وإن إهمالها وعدم السعي للنهوض بها يعني الإعراض عن الدين وتركه للأعداء يتربصون به وينالون منه، فاللغة والدين أمران لاغنى لأحدهما عن الآخر.

فمن سبل النهوض باللغة العربية:

– زرع حبها لدى الناشئة، وحثهم على الاهتمام والعناية بها، وذلك بتشجيعهم على القراءة في سن مبكرة، حتى يألفوها وتكون عادة لهم.

– الاهتمام باللغة العربية في مناهج التعليم العام – فضلًا عن التعليم العالي–، والحرص على التخاطب بها داخل الصرح التعليمي.

– التقليل قدر المستطاع من استخدام العامية في الكتابات والرسائل، ومحاولة تهذيب ألفاظ العامية حتى تكون قريبة للفصحى وسهلة الاستخدام لعامة الناس.

– تبيين الأخطاء اللغوية الشائعة والتشهير بها وتصحيحها كي يتجنب الناس الوقوع بها.

– التخلص من الألفاظ الدخيلة على العربية من اللغات الأخرى.

كما يجدر بنا في هذا المقام أن نشير إلى تجربة د. عبد الله الدنان في نشر الفُصحى، والتي تعدُّ " تجربة رائدة، بُنيَت على دراسةٍ علمية دقيقة، وعلى نظرةٍ متأملة عميقة، وهي حلٌّ علميٌّ ناجِعٌ لمشكلة الانحدار اللغوي، والضعف المعرفيّ الذي صرنا إليه، وردٌّ علمي على أعداء هذه اللغَة الشريفة الذين يتَّهمونها بالعُسْر والجُمود، ويَدْعون إلى نَبْذها وإحلال العاميَّات مَحَلَّها!"[١]، وهي موجودة على الشبكة العنكبوتية لمن أراد أن يطبقها ويستفيد منها، إذ لا يتسع المقام لذكرها كاملة هنا.

إن أهمية النهوض باللغة العربية لم تقتصر على العصر الحاضر فحسب، "بل كان علماء الأمة – رحمهم الله – في صدرها الأول على وعي كامل بأثر اللغة في تكوين الأمة، وأهميتها في بناء شخصية المسلم؛ لذا

١– مقال: طريقة د. عبدالله الدنان (سبيلنا إلى نهضة علمية وتعليمية راقية)، أ. أيمن بن أحمد ذو الغنى – شبكة الألوكة.
http://www.alukah.net/culture/0/21559/#ixzz4T6aUpGj0

حرصوا حرصاً شديدًا على المحافظة على لغة القرآن والسنة، وشدّدوا النكير على من حاد عنها إلى غيرها، واستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير"[١]، ولهم في ذلك أقوال كثيرة، منها قول عمر بن الخطاب ﷺ: "(تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم) وهذا الذي أمر به عمر ﷺ من فقه العربية وفقه الشريعة يجمع ما يُحتاج إليه، لأن الدين أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله"[٢]، ويقول الشاطبي –رحمه الله–: " القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"[٣]، وعن ابن عباس ﷺ قال: "إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب"[٤].

يقول ابن تيمية –رحمه الله–: "واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيرًا قويًا بيّنًا"[٥]، فمن سعى للنهوض بلغته واهتم بها، كان كمن زرع بذرة ثم تعاهدها بالسقاية حتى أينعت وأثمرت، فكذلك اللغة كلما ازددت اهتمامًا بها، ازداد عطاؤها لك، وأفاضت عليك من معينها شرابًا عذبًا زلالًا.



١– انظر: مقال: نحو النهوض باللغة العربية ، أ. د. محمد بلاسي.
http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1326693560fix5sub2file.htm
٢– اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ١/٤٧٠.
٣– الموافقات، الشاطبي، ٢/ ١٠٢.
٤– الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢/ ٦٧.
٥– ابن تيمية، مرجع سابق، ١/٤٦٩.

المبحث الخامس

مسوّغات استعمال اللغة الأعجمية وتعلمها

لا يمكن لأحدٍ أن ينكر أن تعلم اللغة الأعجمية -أيًا كانت- ذو أهميةٍ كبيرةٍ في هذا العصر، إذ إننا نستطيع من خلالها أن نوصل للعالم الخارجي ما نرغب إيصاله من معتقدات وأفكار بل وأهم من ذلك كله هو إيصال الدين وتبليغه وإظهار محاسنه، فلا يخفى على أحد الجهود التي أثمرت نفعًا وأدّت دورها في دخول كثيرٍ من أبناء الغرب والشرق إلى الدين الإسلامي، ولكننا في الوقت ذاته لا نجعل ذلك مبررًا لتعلم اللغات الأعجمية وخلطها بالعربية في كل حال ولكل أحد، بل نجعل ذلك مقننًا ومشروطًا بمسوغات تدعو لها الحاجة وتتطلبها، وفي هذا الشأن يقول ابن تيمية -رحمه الله-: " وأما الخطاب بها[١] من غير حاجة في أسماء الناس والشهور -كالتواريخ ونحو ذلك- فهو منهي عنه، مع الجهل بالمعنى، بلا ريب. وأما مع العلم به فكلام أحمد بيّنٌ في كراهته أيضًا "[٢]، والكلام حول هذا الشأن مستفيضٌ في أقوال الأئمة والسلف.

أمّا مسوغات تعلم اللغة الأعجمية أو التحدث بها، فمنها:

- الدعوة إلى الدين الإسلامي، فإن كان الدين لن يصل إلا بها فيجب علينا تعلمها، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.
- الحاجة إليها أثناء السفر إلى البلاد الأعجمية لحاجة ملحّةٍ كالعلاج، والدراسة وغيرها.
- نقل بعض العلوم التي يحتاجها المسلمون من العلوم النظرية والتطبيقية كالطب والهندسة وغيرها.
- الحاجات والمصالح الضرورية في كثير من المهن والأعمال والمؤسسات.
- أمن مكر الأعداء وتوخي الحذر منهم، فقد جاء في الأثر: " من تعلم لغة قوم أمن مكرهم"[٣].

وعلى الرغم من أهمية تعلم اللغة الأعجمية إلا أنه يجب على العربيّ أن يكون معتزًا بلغته؛ فهي هويته وفخره، فلا يزدريها ويقلل من شأنها ويظن أنه بتعلمه للأجنبية قد بلغ المراتب العليا من التقدم والحضارة، بل الواجب عليه ألا يفخر بتعلمها ولا يستعملها إلا في مواضع الحاجة إليها.

١- بها: أي اللغة الأعجمية.

٢- ابن تيمية، مرجع سابق، ٤٦٣/١.

٣- انتشر لدى الناس أن هذا الأثر من حديث الرسول ﷺ، والصواب أنه ليس بحديث؛ فقد بحث عنه الباحثون فلم يجدوا له أصلاً، وإن كان معناه صحيحًا، لكن لا يجوز لنا أن نضيف إلى رسول الله ﷺ إلا ما ثبت عنه.

الخاتمة

بعد الحديث عن اللغة العربية وبيان مكانتها، ثم التطرق لمغبّة دخول الأعجمية عليها واختلاطها بها، توصلت إلى ما يلي من النتائج:

- أولًا: شرف اللغة العربية وتميزها عن غيرها من اللغات؛ لكونها لغة القرآن الكريم.
- ثانيًا: لضعف اللغة العربية آثارٌ جمّة، أهمها عدم فهم الدين الإسلامي ونصوص الشريعة.
- ثالثًا: من أخطر العوامل المؤثرة على اللغة العربية والتي أدت إلى ضعفها هو الاستعمار الغربي للدول العربية.
- رابعًا: سطوة اللغة الأعجمية على العربية في الوقت الحاضر لا تُبرر استعمالها والتحدث بها في كل وقت وعلى كل حال.

كما يجدر أن أزودك أيها القارئ بأهم التوصيات:

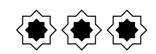
- ضرورة إيضاح وتبيين ما يرمي إليه الأعداء من محاولات لإضعاف اللغة العربية واستبدالها بالأعجمية، وكشف مخططاتهم الخبيثة للحذر منها.
- يجب بث روح الاعتزاز باللغة العربية؛ كونها لغة الإسلام.
- ينبغي على المؤسسات التعليمية أن تهتم باللغة العربية في مناهجها، خصوصًا في مراحل الصفوف الأولى.
- يُفترض من الكتاب والعلماء والأدباء ألا يكسروا هيبة اللغة العربية والعلم والأدب بكتابة مؤلفاتٍ باللغة العامية.
- تذكر الآثار المترتبة على ضعف اللغة وجعلها حاضرة في الأذهان دائمًا؛ حتى يكون ذلك سببًا في المحافظة عليها والنهوض بها بإذن الله.
- يجب الحد من استعمال اللغة الأعجمية، بل الاقتصار عليها عند الحاجة إليها فقط.

ختامًا: ما كان في هذا البحث من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان.

وصلى الله وسلم على هادي البشرية، وأشرف من تكلم بالعربية، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه خير البرية.

فهرس الآيــات

الآيـــــة	اسم السورة	رقم الصفحة
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾	يوسف	٦
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾	الحجر	٧
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾	الشعراء	٦
﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨ ﴾	الزمر	٣
﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ ﴾	الزخرف	٦



فهرس المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، د. محمد محمد حسين، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الخامسة ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٣. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٥. **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.

٦. خواطر في زمن المحنة، يمان السباعي، الناشر: مكتبة أسامة – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٧. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨. **ضوء تحديات العولمة وتلبية متطلباتها (دراسة وصفية تطبيقية)**، أحمد بدماصي أوما أوني، بحث لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف الدكتور: أحمد راغب، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المدينة العالمية ماليزيا، ٢٠١١م.

٩. **عربية القرآن**، أ.د. عبد الصبور شاهين، الناشر: مكتبة الشباب.

١٠. **العولمة**، أ.د. عبد الكريم بكّار، الطبعة: الثالثة ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

١١. **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٢. **الفصحى لغة القرآن**، أنور الجندي، الناشر: دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة – بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١٣. **فصول في الثقافة والأدب**، علي الطنطاوي، الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع – جدة، الطبعة: الأولى ٢٠٠٧م.

١٤. **في فقه اللغة وقضايا العربية**، د. سميح أبو مغلي، الناشر: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع – عمان – الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٥. **قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله**، جلال العالم.

١٦. **اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء**، د. عدنان النحوي، الناشر: دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

١٧. **مقدمة ابن خلدون**، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ.

١٨. **الموافقات**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٩. **وحي القلم**، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

- **المراجع الإلكترونية:**

٢٠. **مقال**: الاستعمار الغربي المباشر ومعاركه مع اللغة العربية، أ.د.عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، شبكة الألوكة – بتصرف. http://www.alukah.net/literature_language/0/80229/

٢١. **مقال**: أثر العولمة على اللغة العربية، د. زينب بيره جكلي، رابطة أدباء الشام http://bb2.co/Spv6K

٢٢. **مقال**: طريقة د. عبدالله الدنان (سبيلنا إلى نهضة علمية وتعليمية راقية)، أ. أيمن بن أحمد ذو الغنى – شبكة الألوكة. http://www.alukah.net/culture/0/21559/#ixzz4T6aUpGj0

٢٣. **مقال**: نحو النهوض باللغة العربية ، أ. د. محمد بلاسي.
http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1326693560fix5sub2file.htm



فهرس الموضوعات